من عمل الشيطان: الـكـوابـيـــس والأحــــلام

لقد تعلقت النفوس بالكوابيس والرؤى والمنامات، وأصبحت شـغل النـاس الـشاغل عبـر المجالس والمنتديات والمجامع، بل أصبحت سوقًا رائجة لها زبائن كثر فـي القنـوات الفـضائية، فأجلبت الفضائيات بخيلها في ذلك، وعقدت مجالس للرؤى والمنامات لما رأت تهافت الناس السريع لذلك. وأصبحت ترى اليوم إن كان السائل عن الأمور الشرعية واحدًا فالسائل عن الرؤى والمنامات عشرة، ورأيت مهمومين مغمومين يكلمك أحدهم أنه لم ينم ليالي عددًا، لم؟ لرؤيا مقلِقة رآها، وقـد يكون عبّرها له جاهل بسوء، وأصبحتَ ترى فرحين سعداء، لكأنهم يترقبون بيوتهم تنقلب بـساتين وقصورًا، أو وسائدهم تنقلب ذهبًا، بسبب رؤيا رأوها.

تمهيد عن الكابوس:

الكوابيس تجربة مخيفة، وهي تجربة إنسانية عالمية، فكلنا يستيقظ بدءا من الطفل الصغير إلى الكهل المسن، ونحن نرتجف من عالم تعلّـق فيه كافة القوانين الطبيعية، ويفقد فيه المنطق والتوقع الـذي يواسي أيامنا كافة معانيه.

وتجربة الكابوس والحلم المزعج تجربة قديمة قدم الإنسان:

١- ففي ملحمة "جلجامش" الآشورية التي كتبت في بابل (في العراق حاليا) قبل أكثر من ٤٠٠٠ عام، والتي تعتبر أحد أقدم النصوص البشرية، هناك الكثير من الأحلام والكوابيس.

٢- وفي الأساطير البابلبية في بلاد ما بين الرافدين، كان هناك اعتقاد بوجـود مخلـوق ليلـي مصاص للدماء يدعى "ليليث". وكان يعتقد أن هذا المخلوق يسكن البراري، ولاسيما خـلال الجو العاصف، ويشكل خطورة لاسيما على الأطفال، واسم "ليليـث" أصـله مـن اللغـات السامية، من جذر يعني "ليل"، وهو الوقت المفضل لظهور المخلوق ونـشاطه. وصـورت الأساطير القديمة الكابوس على أنه وحش يجثم على صدر النائم: يخنقـه ويمـتص قوتـه، ويدعه هزيلاً ضعيفاً مشلولاً حال نومه[1]، وفي "لسان العرب" لابن منظور أن الكابوس هو: (الجُثام والجاثوم الذي يجثم على الإنسان وهو نائم)، ويعرف أيـضا باسـم "الـضاغوط". وتعرفه بعض قواميس اللغة الإنجليزية على أنه حالة ضيق صدر وسواسي، تأتي حال النوم لاسيما في الليل، يشبه ضغط وثقل على الصدر.

٣- و"ليليث" كانت معروفة في بلاد "سومر" القديمة (العراق حاليا)،

٤- وكانت معروفة لدى أحبار اليهود، ففي القرن الثاني للميلاد يقول الحاخام "حانينا بن دوسا": (لا يمكن للمرء النوم وحيدا في منزل، لأن من ينام وحده في منزل تنال منه ليليث).

٥- والطبيب الإغريقي "جالينوس" الذي عاش بـين ١٣٠-٢٠٠ ق.م لـم ينـسب الحلـم إلـى اللاوعي، بل تبنى وجهة النظر السحرية ونسبها إلى الآلهة.

---

[1] وهذا بالفعل ما كانت تمثله هذه اللوحة للفنان السويسري الأصل البريطاني الجنسية "يوهان هنريخ فوسيلي" (١٧٤١-١٨٢٥) التي تحمل عنوان "الكابوس"، وهي أبرز ما يتصدر معرض خاص عن فن "الرعب القوطي" في العصر الرومنسي وما بعده، يقـام فـي معرض "تيت بريتين" في العاصمة البريطانية.

٦- وسبق أفلاطون فرويد بمدة تصل إلى ٢٣٠٠ سنة في رؤيته لتفسير الأحلام حين أورد في كتابه "الجمهورية" قوله: (حتى مع وجود الرجال الطيبين، فهناك جانب منحط وحيواني متوحش يطل برأسه أثناء النوم).

٧- وعند الرومان كان الاعتقاد أن سبب الكابوس يعود إلى كائن أو عفريت كان يزعج الناس خلال النوم متخذا شكلا ذكريا يسمى "إنكوبي" أو "إنكوبيس" يزعج النائمات من النساء، أو يتخذ شكلا أنثويا يسمى "سكوبي" أو "سكوبيس" يزعج الرجال النيام، وربما كان المخلوقان كائنا واحدا قادرا على التجسد حسب الجنس الذي يريد، وكانت مصدر رعب في روما القديمة.

٨- وفي القرن الثاني قبل الميلاد كان هناك ٣٢٠ معبدا في بلاد اليونان وحوض البحر الأبيض المتوسط مكرسة للأحلام ولعبادة الإله "أسكيولابيوس" إله الشفاء من "سكوبي".

٩- وهذه العفريتة "سكوبي" استحوذت على اهتمام أكبر في بداية المسيحية، وحتى القرون الوسطى، عندما كان الاعتقاد السائد أنها تتسلط على الرهبان كي تلهيهم عما نذروا إليه أنفسهم في خدمة الكنيسة[١]،

١٠- وكلمة "كابوس" بالعربية قال عنها مختار الصحاح ص٢٣٤: (الكابوس ما يقع على انسان بالليل، ويقال هو مقدمة الصرع)، ونقل ابن منظور في لسان العرب ج٦:ص١٩٢ عن بعض اللغويين قوله: (ولا أحسبه عربيا)، وبالفعل، يعتقد أن أصلها إغريقي من كلمة "إنكوبيس".

١١- أما كلمة كابوس بالإنكليزية فهي Nightmare، ويرجع أصلها إلى "مخلوق ليلي من الأساطير الجرمانية والإسكندنافية، كان يعرف باسم "مارا" Mara، وكان الناس يخشون حضوره أثناء النوم، لأنه كان ذو قدرة على امتصاص الطاقة من الجسم، وتشويش العقل بشكل كبير. ويبدو أن "مارا" هذا أقدم في النشأة من حضارة الجرمان، فقد ظهر اسم "مارا" في الأساطير البوذية كاسم عفريتة حاولت إغواء "بوذا" (٥٦٣-٤٨٣ ق.م) باتخاذها هيئة امرأة جميلة، لكن بوذا قاوم إغراءها.

١٢- ومما يثير الأهتمام والدهشة أن كلمة "كابوس" في ثقافات معظم شعوب الأرض ولغاتها لها تقريبا نفس الدلالة والمعنى: (كائن أو روح شريرة أو عفريت يزعج النائم ويمتص قواه الجسدية بأنواعها، لاسيما القوة الجنسية).

والخلاصة أن سبب الكابوس عند الحضارات المختلفة أحد شيئين:

أولاً: الكابوس سببه عفريت:

كان الاعتقاد الشائع منذ مئات السنين وحتى أواخر القرن ١٨ م أن الكابوس سببه هجوم شيطان أو عفريت يجثم على صدر النائم"، و"سكوبي" وفق الرؤية المسيحية في القرون الوسطى كانت تأتي من الخطيئة[٢]. وعند بعض علماء المسلمين ممن يعالجون بما يسمى بـ"الرقى الشرعية"، ربما تكون

---

[1] يوجد ذلك في العديد من كتاباتهم، ففي كتاب "موسوعة الكائنات الشريرة" للراهب الإيطالي "فرانسيسكو ماريا غوازو" الخبير في دراسة الشياطين والعفاريت، (والذي كتبه في القرن السادس عشر للميلاد)، هناك تفصيل لخواص "سكوبي" في قائمة العفاريت التي تعذب الأتقياء والصالحين. ويقول الراهب غوازو: (هذه الأشكال من الحلم التي يعاني منها الرهبان هي في الواقع حقيقية. وهي تجارب سببها التجسد التام والفعلي لهذه العفريتة التي لا تريد أن تجعلهم يحنثون بما أقسموا عليه من عهود بالعفة فقط بل تريد أيضا إلحاق الأذى بهم).

[2] ويستشهد لذلك بكتاب "مدينة الله" لمؤلفه "القديس أوغسطين" (المولود في ما يعرف حاليا بتونس) (٣٥٣م -٤٣٠م) وبكتاب "سوما ثيولوجيا" (أي "الجامع" في الفلسفة والدين والشريعة) لـ "القديس توما الإكويني(القرن ١٣م) اللذين يفسران الـ"إنكوبي" أو "سكوبي" على أنه عائد لشياطين وعفاريت ترسل بقصد إغواء البشر وإيقاعهم بالخطيئة.

أسباب الكابوس نفسية أو عضوية بحتة يعرفها الأطباء، وقد تكون ناجمة عن نوع من "المس الشيطاني" يسمى بـ"المس الطائف".

ثانياً: الكابوس سببه كبت نفسي أو شهوات مكبوتة:
ففي عام ١٩٢٠ قال "سيغموند فرويد" في نظريته الخاصة بـ"تحقيق الرغبة" في أول طبعة من كتابه "تفسير الأحلام": (إن الكوابيس تمثل الرغبات بالتعرض للعقاب والنابعة من الأنا الأعلى)، وفي عام ١٩٢٥ عاد "فرويد" ليقول: (الكوابس هي تعبير عن دوافع غير أخلاقية شريرة وملتوية تتعلق بزنا المحارم أو بشهوات إجرامية وسادية)، وبعدها بدا أن "فرويد" غير راض عن هذا التعريف وفق نظريته، فعاد ليقزول: (إنها ميل بدائي ورجعي لإعادة معايشة تجارب مريرة).
لكن كما علة الأحلام عموما عند فرويد، فقد نحى هذا العالم إلى عزو حدوث الكابوس إلى كبت نفسي، حيث تنتج العناصر السلبية للتجربة عن محاولة كبت الشهوات الجنسية. ويحدث هذا الكبت عبر آلية إسقاط الشهوات الجنسية على عنصر خارجي أو عفريت.
ويرى "كارل يونغ" أن الكوابيس مثل الأحلام، (تؤدي وظيفة تعويضية، فإذا اتخذ الناس موقفا شديد السطحية أو أبدو قدرا كبيرا من عدم الاكتراث في موقف واع، عندها يمكن للحلم أن يعزز الموقف ويعوض عن حالة اليقظة تلك بطريقة تنتج الكابوس).

مفهوم الكابوس في الطب النفسي:

مصطلح الكابوس يشير إلى نمطين من الأحلام المزعجة:
١- الكابوس الفعلي أو "الشلل النومي"
٢- نوبات الرعب النومي.

وكلاهما يتفق في أشياء ويختلف في أشياء.
فيتفقان في:
١- أن الكابوس حلم مزعج جداً،
٢- يستمر "الرعب النومي" بين ٥-٢٠ دقيقة.
٣- سرعة ضربات القلب،
٤- التنفس السريع،
٥- اختفاء النشاط العصبي،

ويختلفان في:
أ- الكابوس الفعلي أو "الشلل النومي" يمتاز بأنه:
١- طويل،
٢- فيه صور واضحة للحالم في حالة خطر،
٣- يشعر خلاله النائم بتأثير سلبي قوي (كـ قلق، خطر، ذنب، غضب، حزن، إحباط، خوف)
٤- يتذكرها النائم بعد استيقاظه ويكون مدركا لكل ما يحلم به، وتنتهي باستيقاظ الحالم، وتكون أشبه بفيلم رعب نومي طويل.

ب- أما "نوبات الرعب النومي" فتمتاز بـــ:

١- إحساس المرء فيها بالتشويش وفقدان الاتجاه والدوار عند الاستيقاظ
٢- لا توجد فيها صور واضحة
٣- تقع عادة في مرحلة النوم العميق (المرحلة ٣-٤ ساعة) في الساعات الأولى من النوم،
٤- عادة لا يتذكر الحالم شيئا عند الاستيقاظ.

أسباب الكابوس طبياً:

يرى الأطباء أن الكابوس له أسباب متعددة:

١- بطء في نقل الكهرباء العصبية، أو عرقلتها.
٢- النوم على الظهر.
٣- النوم في أوقات غير منتظمة.
٤- إطالة نوم القيلولة،
٥- الحرمان من النوم،
٦- الشعور بالضغط الزائد،
٧- التغير المفاجئ في المحيط أو نمط الحياة.
٨- القلق والتوتر.
٩- المرض مع الحمى
١٠- موت شخص عزيز
١١- رد فعل حاد أو عارض جانبي لتناول دواء أو التوقف عنه مثل أقراص النوم.
١٢- تناول الكحول أو الخمور أو التوقف الفجائي عن تناولها،
١٣- اضطرابات التنفس أثناء النوم.
١٤- تناول طعام قبل الذهاب للنوم مباشرة[1].

الرؤى والأحلام والكوابيس في الإسلام:

اهتم العلماء العرب المسلمون بالأحلام وتفسيرها وبات ذلك علما بحد ذاته[2]، والكابوس في المفهوم الإسلامي سببه الشيطان، وما يراه النائم ثلاثة أنواع، جلاَّها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] تعليل صلة الطعام بحصول الحلم هو استنتاج توصل إليه الطبيب العربي "علاء الدين ابن النفيس الدمشقي" (المولود عام ٦٠٧ هـ) (مكتشف الدورة الدموية الصغرى) فقرر في كتابه "الشامل" أن الأحلام تنشأ بسبب الأطعمة التي يتناولها الإنسان، ويرجع ذلك إلى أبخرتها التي تتصاعد إلى الرأس أثناء النوم فتؤثرعلى الفص الأمامي للمخ وتسبب ظهور الصور والخيالات المختلفة خلال النوم.

[2] اهتم العلماء بما يراه النائم، مثل "محمد بن سيرين (المتوفى عام ١١٠ للهجرة)، و"محي الدين بن عربي" المولود في الأندلس (المتوفى ٦٣٧هـ) في كتابيه "فصوص الحكم" و"الفتوحات المكية"، و"ابن خلدون" في مقدمته، ومعظم العلماء تعرض للرؤى في إطار اهتمامهم بالتفريق بين الحلم الذي مصدره الوحي (الرؤيا الصالحة) والحلم الكاذب (أضغاث الأحلام)، وسبق المفكرون المسلمون الغرب إلى تفسير الأحلام وتحليلها وتقسيم أنواعها ومعرفة أسبابها ومصادرها، وخلاصة حقيقة الأحلام والرؤى عندهم:

١- قال ابن خلدون في مقدمته: (أما أضغاث الأحلام فصور خيالية يخزنها الإدراك في الباطن ويجول فيها الفكر بعد المغيبة عن الحس. الفرق بين الرؤيا الصالحة وأضغاث الأحلام الكاذبة فإنها كلها صور في الخيال في حالة النوم).

روى ابن ماجه في سننه وصححه الألباني أنه عليه الصلاة والسلام قال: [**إن الرؤيا ثلاث**: **منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم**، **ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه**، **ومنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**].
يقول البغوي: (في هذا الحديث بيان أنه ليس كل ما يراه الإنسان في منامه يكون صحيحًا ويجوز تعبيره، إنما الصحيح منها ما كان من الله عز وجل، وما سوى ذلك أضغاث أحلام لا تأويل لها).

النوع الأول مما يراه النائم: الكابوس:

وهي الرؤيا السيئة التي من الشيطان،
روى مسلم في صحيحه أن أبا سلمة قال: [كنت أرى الرؤيا أُعرَى منها[1]، غير أني لا أزَمَّل، حتى لقيتُ أبا قتادة فذكرت ذلك له فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلماً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليتعوّذ بالله من شرها، فإنها لن تضرّه]، وفي رواية عند مسلم أيضاً قال أبو سلمة: [إن كنت لأرى الرؤيا أثقل عليَّ من جبل، فما هو إلا أن سمعت بهذا الحديث، فما أباليها].
وفي صحيح مسلم [أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، رأيت في المنام كأن رأسي ضُرِب فتدحرج فاشتددتُ على أثره!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي: لا تحدث الناس بتلعّب الشيطان بك في منامك].
فأما موقف المرء من هذا النوع من الرؤى وهو الغالب على حال الكثيرين فإنه قد جاء في السنة آداب خاصة به في أحاديث صحيحة في الصحيحين وغيرهما، وهي:

١- التعوذ بالله من شر هذه الرؤيا ومن شر الشيطان،
٢- أن يتفل الرائي حين يهُبّ من نومه ثلاثاً عن يساره،
٣- أن لا يذكرَها لأحد أصلا،
٤- أن يصلي ما كُتب له،
٥- أن يتحوّل من جنبه الذي كان عليه.
٦- زاد بعض أهل العلم قراءةَ آية الكرسي لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من قرأها لا يقربهُ شيطان،
٧- ألا يحدث الناس بها.

وهذا النوع من الرؤى إنما هو من الشيطان، يقول النووي رحمه الله: (وينبغي أن يجمع الرائي بين هذه الآداب كلها ويعمل بجميع ما تضمنته الروايات، فإن اقتصر على بعضها اجزأه في دفع ضررها بإذن الله كما صرحت بذلك الأحاديث).

٢- وقال المازري: (والصحيح ما عليه أهل السنة أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات، كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه يفعل ما يشاء، لا يمنعه نوم ولا يقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها علمًا على أمور يخلقها في ثاني الحال أو كان قد خلقها)،

٣- وقال ابن القيم رحمه الله: (إنها أمثال مضروبة يضربها الملك الذي قد وكله الله بالرؤيا ليستدل الرائي بما ضرب له من المثل على نظيره ويعبر منه إلى شبهه).

ومن الكتب الإسلامية المشهورة التي تناولت الأحلام "تعطير الأنام في تعبير المنام" لعالم الدين والأدب والشاعر والمتصوف عبد العزيز النابلسي (المتوفى ١١٤٢هـ) و"التعبير المنيف والتأويل الشريف "لـ"محمد بن قطب الدين الأزنيقي" (المتوفى سنة ٨٨٥ للهجرة)، وغيرها.

[1] أي: أمرض منها

النوع الثاني مما يراه النائم:
ما يحدّث به المرء نفسه في يقظته، كمن يكون مشغولاً بسفر أو تجارة أو نحو ذلك، فينام فيرى في منامه ما كان يفكّر فيه في يقظته، وهذا من أضغاث الأحلام التي لا تعبير لها.

النوع الثالث: الرؤيا الصادقة الصالحة التي تكون من الله:
١- قال صلى الله عليه وسلم: [إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها]، وفي رواية: [ولا يخبر بها إلا من يحب].
٢- قال تعالى في كتابه الكريم: "أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمْ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [يونس:٦٢-٦٤]، قال عددٌ من المفسرين أن "الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم، أو تُرى له، والتبشير هنا يحتمل التبشير بالخير والتبشير بالشر كما قال الله تعالى عن الكفار: "فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" [آل عمران:٢١].
٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة].
٤- روى مالك في الموطأ وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، قيل: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له].
٥- وقال صلى الله عليه وسلم: [إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة].

ومن علامات أضغاث الأحلام أو الرؤى الفاسدة:
١- أن النائم يرى في منامه مناظر متناقضة ومتداخلة، لا يعرف أولها من آخرها،
٢- أن بعض الناس يمرض فيرى في منامه ما يوافق مرضه،
٣- أن يرى مستحيلات لا يمكن أن تقع،
٤- أن يرى ما تحدّث به نفسه في اليقظة،

ومن علامات الرؤيا الصادقة:
١- انتفاء جميع ما تقدم من علامات الرؤيا الفاسدة،
٢- أن يكون الرائي معروفًا بالصدق في كلامه، كما قال صلى الله عليه وسلم: [أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا]، وهذا في الغالب، وإلا فقد يرى غير الصادق رؤيا صادقة إيقاظاً لغفلته،
٣- أن يعرف أولها وآخرها، فلا تكون متقطعة لا ترابط بينها،
٤- أن تكون تبشيرًا بالثواب على الطاعة أو تحذيرا من المعصية.

من أراد الرؤيا الصالحة أو عدم إتيان الكوابيس فعليه بأمور:

أولاً: عليه بالصدق في أقواله وأفعاله[1]،

ثانياً: قيام الليل والإكثار من الطاعات: لخبر البخاري عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا فَأَقُصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ وَإِذَا فِيهَا أُنَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ النَّارِ قَالَ فَلَقِيَنَا مَلَكٌ آخَرُ فَقَالَ لِي لَمْ تُرَعْ فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا].

ثالثاً: أن يلتزم السنة في النوم:

١- **الإتيان بالأذكار الشرعية المتنوعة:** كمثل ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قَالَ: [كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنْ الْفَقْرِ].

٢- **أن يصلي قبل النوم:** لخبر الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: [أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكْعَتَيْ الضُّحَى وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ].

٣- **أن ينفض الفراش بداخلة الإزار:** لخبر الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ].

٤- **أن ينام على وضوء، ويضطجع على شقه الأيمن:** لخبر الصحيحين عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ قَالَ فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا بَلَغْتُ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ قُلْتُ وَرَسُولِكَ قَالَ لَا وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ].

٥- **أن يضع يده تحت خده الأيمن:** لخبر الصحيحين عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنْ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ

---

[1] قال ابن القيم: (ومن أراد أن تصدق رؤياه فليتحر الصدق وأكل الحلال والمحافظة على الأوامر والنواهي، ولينم على طهارة كاملة، مستقبل القبلة، ويذكر الله حتى تغلبه عينه، فإن رؤياه لا تكذب البتة، وأصدق الرؤيا ما كان بالأسحار فإنه وقت النزول الإلهي، واقتراب الرحمة والمغفرة، وسكون الشياطين، وعكسه رؤيا العتمة (وقت صلاة العشاء) عند انتشار الشياطين والأرواح الشيطانية).

يَقُولُ: اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ].

٦- **قراءة آية الكرسي:** لخبر البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعْنِي، فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قلت: لَا، قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ].

٧- **قراءة المعوذات:** لخبر الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ [أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"، وَ"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"، وَ"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ"، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ].

٨- **قراءة سورة الكافرون:** لخبر أحمد والدارمي عَنْ جَبَلَةَ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ: [قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ عِنْدَ مَنَامِي، قَالَ: أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَاقْرَأْ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنْ الشِّرْكِ].

أحكام تتعلق بالرؤى والأحلام:

الحكم الأول:

أن هذه الرؤى والأحلام لا يترتب عليها أيةُ اعتقادات دينية، لأن العلم والقول والاعتقاد توقيفي مبني على الوحي الشريف من كلام الله تعالى القرآن وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الصحيحة فقط. كما أنه لا يُبنى على تلك الرؤى أحكاما شرعية، وأحوالا مصيرية،

وقد ضل بعض الناس في هذا الأمر فجعلوا الرؤى مصدر تشريع، وقد أنكر عليهم العلماء ذلك، قال الشاطبي: (فلربما قال بعضهم: رأيت النبي في النوم، فقال لي كذا وكذا، فيعمل بها معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ، لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال، إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحلام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا).

وقد ذكر الشاطبي رحمه الله في كتابة الاعتصام أن الخليفة المهدي أراد قتل شريك بن عبد الله القاضي فقال له شريك: ولِم ذلك يا أمير المؤمنين ودمي حرام عليك؟! قال: لأني رأيت في المنام كأني مقبل عليك أكلمُك، وأنت تكلمني من قفاك، فأرسلت إلى من يعبِّر فسألته عنها فقال: هذا رجل يطأ بساطَك، وهو يُسِرّ خلافَك، فقال شريك: يا أمير المؤمنين، إن رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب، وإن دماء المسلمين لا تسفَك بالأحلام، فنكَّس المهدي رأسه وأشار إليه بيده أن اخرُج، فانصرف.

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أن بعضهم رأى في المنام الشافعيَّ رحمه الله فقال له: كذبَ عليَّ يونس بن عبد الأعلى في حديث، ما هذا من حديثي ولا حدثتُ به، فقال الحافظ ابن كثير رحمه الله معلقاً على هذا الكلام: "يونس بن عبد الأعلى من الثقات، لا يُطعن فيه بمجرد منام".

ونقل الذهبي رحمه الله عن المروزي قال: أدخلتُ إبراهيمَ الحصري على أبي عبد الله أحمد بن حنبل وكان رجلاً صالحاً فقال: إن أمي رأت لك مناما هو كذا وكذا، وذكرت الجنة، فقال: (يا أخي، إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا، وخرج إلى سفك الدماء، الرؤيا تسرُّ المؤمن، ولا تغرُّه).

وتنتشر بين الفينة والأخرى ورقةٌ مذكور فيها رؤيا للرجل الصالح أحمد خادم الحجرة النبوية، وفيها بعض الوصايا، وكذلك ورقة أخرى أن فتاة رأت في المنام أمَ المؤمنين زينب أو بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة تأمرها بأن تقرأ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" [الإخلاص:١] كذا مرة، وسيحصل لها كذا وكذا، وكل هذه خزعبلات وأكاذيب لا تنتشر إلا عند الجهلاء، وقد نبه عليها العلماء، ألا فليُعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات إلا والدين قد كمل، وأن أيّ مدّعٍ يدعي أنه اكتشف سنة عبر منام فهو كاذب، فليس هناك سنة إلا وقد بينها صلى الله عليه وسلم، وانتهى التشريع بموته.

الحكم الثاني:

أنه ينبغي على المسلم العاقل ولا سيما أخواتُنا من النساء أن يحذروا كل الحذر من مُدعي التعبير من المتعالمين والجهال وأهل الكذب والشعوذة والخرافة والكهانة الذين يدّعون علم الغيب، ويروجون على الناس بدعوى تعبير المنامات.

فقد انساق بعض الناس إلى التطلع إلى معرفة الغيب عن طريق: السحرة والكهان، والعرافين، والرمالين، والمنجمين، وقراءة الفنجان، ومتابعة الأبراج وغيرها، فضلُّوا وأضلّوا بما أقدموا عليه من أمر محرم، روى أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [من أتى عرافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد]، وروى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي عن النبي صلى الله عله وسلم قال: [من أتى عرّافاً فسأله عن شيء فصدّقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً].

هذا مع أن هؤلاء السحرة والكهان لا يعلمون الغيب بنص كتاب الله عز وجل ولكنهم يزينون للناس الباطل. والغيب لا يعلمه إلا الله:

١- قوله تعالى: "قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوٰتِ وٱلأرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلاَّ ٱللَّـهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ" [النمل:٦٥]،

٢- وقال الله تعالى: "عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً. إلاَّ مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ" [الجن:٢٦،٢٧].

٣- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل: "إِنَّ ٱللَّـهَ عِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَيمٌ خَبِيرٌ" [لقمان:٣٤]].

الحكم الثالث:

أن لا يعرضَ المسلم ما يشُدُ الحاجة إلى تعبيره من منامه إلا على أهل العلم والصدق والخبرة والدِيانة فقط، ويحذر مِن سواهم أشد الحذر، سلامة لعرضه، وبراءة وصِيانة لعقيدته ودينه. فالرؤيا الصادقة الصالحة قد تكون واضحة ظاهرة لا تحتاج إلى تأويل كما رأى إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ابنَه في المنام، وقد تكون خافية برموز تحتاج فيها إلى عابر يعبُرها كرؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه السلام.

والدليل:

١- قال صلوات الله وسلامه عليه: [لا تُقصّ الرؤيا إلا على عالم أو ناصح].

٢- وسئل الإمام مالك رحمه الله: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال مالك: أبالنبوة يُلعب؟! والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: [إذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا ناصحًا أو عالمًا]، أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

٣- وقال القرطبي عند قوله تعالى: "قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ" [يوسف:٥]. هذه الآية أصل في ألا تقص الرؤيا على غير شقيق، ولا ناصح، ولا على من لا يحسن تأويلها.

فلا يسوغُ للمؤمن أن يسأل عن كل رؤى ومنام رآه، بل يكون عاقلا فطنا، كما أنه لا يليق به أن يضيع أوقاته للجلوس لتعبير الرؤى، أو نشر الهواتف والعنوانين، والمراسلات عبر وسائل الإعلام من إنترنت وقنوات وهواتف وبريد وغيرها، وإبراز وسائل الإعلام للقضايا الشخصية والمنامات الخاصة، فإن هذا من عدم الستر، ومن الترويج الفاسد لهذه البضاعة الكاسدة، ومن تضليل الناس وتشويه عقولهم وقلوبهم. وهنا تعلم خطورة نصب الإنسان نفسه مفتيًا في الرؤى، يتكلم بتخمينه وظنونه، فأينه من قول الله: "وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً" [الإسراء:٣٦]؟!

ومن شروط العابر:

١- أن يكون عالماً بهذا العلم العظيم،

٢- أن يدرك المصالح والمفاسد في هذا الميدان،

٣- أن لا ينصِّب نفسه للفتيا في الرؤى ويتطلّع إليها، لا سيما عبر الشاشات وفي المجامع الكبيرة. فتعبير الرؤى قرين الفتيا وقد قال الملك: "يَأَيُّهَا ٱلْمَلأُ أَفْتُونِى فِى رُؤْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ" [يوسف:٤٣]، يقول ابن القيم رحمه الله: "المفتي والمعبِّر والطبيب يطّلعون من أسرار الناس وعوراتهم على ما لا يطلع عليه غيرهم، فعليهم استعمال الستر فيما لا يحسن إظهاره".

٤- أن لا يتسرع في التعبير،

٥- أن لا يجزم بما يعبر،

٦- أن يعلموا خطورةَ هذا الجانب وما يوصله إليه من الافتتان والإعجاب بالنفس وتعظيم شأنه فوق شأن المفتين وأهل العلم، وقد نقل ابن عبد البر أيضاً عن هشام بن حسان انه قال: كان ابن سيرين يُسأل عن مائة رؤيا فلا يجيب فيها بشيء، إلا أنه يقول: اتق الله وأحسن في اليقظة، فإنه لا يضرك ما رأيت في النوم، وكان يجيب في خلال ذلك ويقول: إنما أجيب بالظن، والظن يخطئ ويصيب. فإذا كان هذا هو قول إمام المعبرين في زمانه وما بعده من الأزمان فما الظن بمن جاء بعده، إننا لنسمع بالمعبِّر يُسأل عن ألف رؤيا لا تسمع مرةً يقول: لا أدري، أو يقول: هذه أضغاث أحلام، أو يقول: هذه حديث نفس، إلا من رحم ربك.

فعلى العابرين أن يدركوا خطورةَ تعبير الرؤى من خلال الشاشات التي يراها الملايين من الناس، وكذا المجامع الممتلئة بالحشود، وذلك للأمور التالية:

١- أن الانفتاح المطلق بالتعبير نوع فتنة من أجل حديثه في أمور الغيب، لا سيما أن أحداً لا يستطيع أن يجزم بصحة ما يقول العابر من عدمه، إلا من رأى ذلك في واقعه، وهذا شبه متعسِّر عبر الشاشات.

٢- تعذّر معرفة حال الرائي عبر الشاشات والمجامع من حيث الاستقامة من عدمها، وهذا له صلة وثيقة بتعبير الرؤيا، فابن سيرين سأله رجلان كل منهما رأى أنه يؤذِّن، فعبرها للصالح منهما بالحج لقوله تعالى: "وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ" [الحج:٢٧]، وعبرها للآخر بأنه يسرق لقوله تعالى: "ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ" [يوسف:٧٠]، والشاطبي رحمه الله يقول في مثل هذه الحالة: "فمتى تتعين الصالحة حتى يُحكم بها، وتترك غير الصالحة؟!".

٣- عدم إدراك عقول الناس لطريقة بعض العابرين للرؤيا لا سيما عبر الشاشات والمجامع بحيث يكون تعبيرهم بصورة تجعل المستمع الجاهل لأول وهله يقول: هذا تكهّن أو تخمين أو عرافة، ونحن قد أمرنا بمخاطبة الناس على قدر عقولهم، فقد أخرج البخاري في صحيحه قول علي رضي الله عنه: [حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله؟]، وعند مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: [ما أنت محدث قوما حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة].

٤- أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فالمفسدة من خلال التعبير عبر الشاشات أشد من مصلحته، لأمور لا تخفى على متتبِّعها، لا سيما أنها في أمور غيبية وأنها كالفتوى، والسلف الصالح كانوا يتدافعون الفتوى ما استطاعوا، ناهيكم عن بعض الفساد المتحقق من خلال ما يشاهد ويسمع من تعبير رؤيا لفتاة مثلا بأنها ستفشل في نكاحها أو لامرأة تعبَّر لها بأن زوجها تزوج عليها سرًّا بامرأة أخرى. فما ظنكم بحال الأولى والأخرى، فهذه تترقب الفشل في كل حين مع ضيق نفسها وانشغال بالها، وتلك باهتزاز كيانها والشك في زوجها المرة تلو الأخرى، ناهيكم عمن يرينَ مثل هذه الرؤى، فيكتفين بما سمعنَه من تعبير لغيرهم فيقِسن عليه دون الرجوع إلى عابر عالم اكتفاءً بما سمعنَه أو شاهدنَه، فتكون الطامة حينئذ، وقولوا مثل ذلك فيما يراه الرجال والشباب.

وأما ما يحتج به بعض الناس من أن مسلما روى في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يسأل أصحابه بعد الفجر فيقول: [من رأى منكم رؤيا؟]، فالجواب على هذا من وجوه:

١- أن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعبيره حق لا يشوبه شائبة.

٢- أن تعبيره كان في مسجد يحضره عدد ليس كالأعداد التي تعَدُّ بالملايين حينما تشاهد التعبير عبر الشاشات، وما ظنكم بحضور عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة العقلاء الفضلاء مقارنةً بحضور عند غيره صلى الله عليه وسلم؟! فأين الثرى من الثريا؟!
٣- أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة كالخلفاء الأربعة ولا من بعدهم من التابعين أنه كان يفعل في المسجد كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل، لا سيما أبو بكر رضي الله عنه، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه عارف بتعبير الرؤى، وهو من كبار المعبرين.

الحكم الرابع:

من الأخطاء في الرؤيا خطورة الكذب فيها، ففيه إثم عظيم، أخرج البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [من تحلم بحلم لم يره كلَّف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل]، قال الإمام الطبري رحمه الله: (الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره).

انتهى، والحمد لله أولاً وآخراً.